@ 779 @ والكبرياء فيها عظمته وجلاله ، والعبادة مبنية على ركنين ، محبة ا ، والذل له ، وهما ناشئان عن العلم بمحامد ا وجلاله وكبريائه . ! 2 2 ! القاهر لكل شيء ، ! 2 2 ! الذي يضع الأشياء مواضعها ، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ، ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة . سورة الأحقاف ^ (ح م * تنزيل الكتاب من ا العزيز الحكيم * ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهمآ إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عمآ أنذروا معرضون) ^ هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له ، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره ، والإقبال على تدبر آياته ، واستخراج كنوزه . ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ، ذكر خلقه السماوات والأرض ، فجمع بين الخلق والأمر ! 2 2 ! ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! . وكما قال تعالى : ! 2 2 ! . فا تعالى ، هو الذي خلق المكلفين ، وخلق مساكنهم ، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض ، ثم أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وأمرهم ونهاهم ، وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وممر للعمال ، لا دار إقامة ، لا يرحل عنها أهلها . وهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار ، وموطن الخلود والدوام ، وإنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار ، سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفورا . وأقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجا من الثواب والعقاب العاجل ، ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب ، والهرب من المرهوب ، ولهذا قال هنا : ! 2 2 ! ، أي : لا عبثا ، ولا سدى ، بل ليعرف العباد عظمة خالقها ، ويستدلوا على كماله ، ويعلموا أن الذي خلقهما ، قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء ، وأن خالقهما وبقاءهما ، مقدر إلى ساعة معينة ! 2 2 ! . فلما أخبر بذلك وهو أصدق القائلين وأقام الدليل ، وأنار السبيل ، أخبر مع ذلك أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق ، وصدوفا عن دعوة الرسل ، فقال : ! 2 2 ! . وأما الذين آمنوا ، فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم ، وتلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالانقياد والتعظيم ، ففازوا بكل خير ، واندفع عنهم كل شر . ^ (قل أرأيتم ما تدعون من دون ا أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل ه ذآ أو أثارة من علم إن كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعو من دون ا من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعدآء وكانوا بعبادتهم كافرين) ^ أي : ! 2 2 ! لهؤلاء الذين أشركوا با ، أوثانا وأندادا ، لا تملك نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ، ولا نشورا . قل لهم مبينا عجز أوثانهم ، وأنها لا تستحق شيئا من العبادة : ! 2 2 ! . هل خلقوا من

أجرام السماوات شيئا ؟ هل خلقوا جبالا ؟ هل أجروا أنهارا ؟ هل نشروا حيوانا ؟ هل أنبتوا أشجارا ؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك ؟ لا شيء من ذلك ، بإقرارهم على أنفسهم ، فضلا عن غيرهم ، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى ا ، فعبادته باطلة . ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي ، فقال : ! 2 2 ! الكتاب يدعو إلى الشرك ، ! 2 2 ! موروث عن الرسل يأمر بذلك . من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك ، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ، ونهوا عن الشرك به . وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم ، قال تعالى : ! 2 2 ! . وكل رسول قال لقومه : ! 2 2 ! . فعلم أن جدال المشركين في شركهم ، غير مستندين إلى برهان ولا دليل ، وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة ، وآراء كاسدة ، وعقول فاسدة . يدلك على فسادها استقراء أحوالهم ، وتتبع علومهم وأعمالهم ، والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته ، هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة ؟ ولهذا قال تعالى : ! 2 2 ! ، أي : مدة مقامه في الدنيا ، لا ينتفع به مثقال ذرة ، ! 2 2 ! . لا يسمعون منهم دعاء ، ولا يجيبون لهم نداء ، هذا حالهم في الدنيا . ويوم القيامة يكفرون بشرككم . ! 2 2 ! يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض ! 22 ! . ^ (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جآءهم ه ذا سحر مبين * أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من ا شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم * قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما